

✍ إرسال بديل بن ورقاء :

أما المشركون، فقد عقدوا مجلساً استشارياً في دار الندوة، وأجمعوا على صد المسلمين عن البيت الحرام حتى ولو جاءوا قاصدين العمرة، وفي ذلك قال الله - تعالى - من قبل :



# رسالة

## قريش

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَفَنُّونَ وَلَكِنَّ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]

✍ وقال ههنا :

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].  
واتفقت قريش على إرسال سفيرٍ تلو الآخر إلى النبي - ﷺ - بهدف الماطلة تارة، وجس النبض تارة، والاستفزاز تارة أخرى .  
وأرسلوا من ضمن ما أرسلوا بديل بن ورقاء الخزاعي، في نفرٍ من قومه من خزاعة، وكانوا نصحة لرسول الله - ﷺ - ، ومعلومٌ أن خزاعة هي أقرب القبائل لبني هاشم، وكان بينهم حلفاً في الجاهلية.

فلم قدم بديل بن ورقاء، أخبر المسلمين أنه ترك قريشاً وقد تجهزت عن بكرة أبيها لحرب المسلمين، وقال بديل للنبي - ﷺ - محذراً :

"هم مُقاتِلوك، وصادوك عن البيت !"

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبَ، وَأَصْرَتْ بِهِمْ؛ فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُحْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ؛ فَإِنْ أَظْهَرُ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جُئُوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا قَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلِيُفِذَنَ اللَّهُ أَمْرَهُ "

[البخاري: ٢٥٢٩].

يا لها من كلمات، تنم عن قلب عظيم، وهمة عالية، وإصرار شديد، وشجاعة وبسالة وجسارة .

أكد مقصده، بأنه لم يأت إلا لأداء العمرة ... ( فلماذا المنع ؟ )  
و تحدث عن واقع قريش، وأنها قد أتعبتها الحروب.  
ثم هو يعرض عليهم الهدنة إن شاءوا، حتى يتفرغ للدعوة السلمية.  
ثم يقول - في صلابة تهد الجبال الراسية - : فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا، أي هذا الدين، حتى تنفرد سالفتي، أي رقبتي مقتولاً، ومع ذلك "كيفذن الله أمره".

\*\*\*

✽ إرسال عروة بن مسعود :

ثم أرسلت قريش عروة بن مسعود - سيد ثقيف - أسلم بعد ذلك، فأتاه فجعل يكلم النبي - ﷺ - فقال النبي - ﷺ - : نحوا من قوله لبديل . أي : إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين !

✽ فقال عروة : أي محمد ! أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتأح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى؛ فإني والله لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أوشاباً من الناس خليفاً أن يفرؤوا ويدعوك ..

✽ فقال له أبو بكر الصديق : امض ببطر اللات ! نحن نفر عنه وندعه ؟  
✽ فقال : من ذا ؟ قالوا أبو بكر، قال : أما والذي نفسي بيده، لو لا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك !

واستكمل عروة حواره مع النبي - ﷺ - فكلماً تكلم النبي - ﷺ - . أخذ بلحيته، كعادة بعض العرب من التبسط في الحديث، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي - ﷺ - - لحراسته، ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلماً أهوى عروة بيده إلى حية النبي - ﷺ - - يداعبها؛ ضرب المغيرة يد عروة بنعل السيف، وقال له في حزم : آخر يدك عن حية رسول الله - ﷺ - !

✽ فرفع عروة رأسه فقال : من هذا ؟



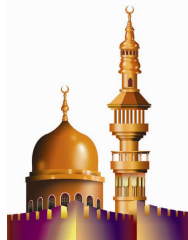




✍ إرسال مكرز الفادر

ثم أرسلت قريش رجلاً فاجراً، يُقَالُ لَهُ مُكَرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى  
المسلمين، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - وهو الخبير بمعادن الرجال - :  
" هَذَا مُكَرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ "

احرص على توقيف النبي ﷺ - بحسن الإنصات لحديثه،  
وبكثرة الصلاة عليه، وبنفح الكيد عنه .



### المبادرة الأولى :

دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - خِرَاشُ بْنُ أُمَيَّةَ الْخَزَاعِيِّ ،  
فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ وَحَمَلَهُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ ، يُقَالُ لَهُ  
التَّغْلَبُ ، لِيُبَلِّغَ أَشْرَافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لَهُ ، فَعَقَرُوا بِهِ جَمَلَ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ - وَأَرَادُوا قَتْلَهُ فَمَنْعَتْهُ الْأَحَابِيشُ ، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ  
حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - (١) .

## المبادرات النبوية

### المبادرة الثانية :

وَأَرْسَلْتُ قُرَيْشَ بَارَبَعِينَ مِنَ الرِّجَالِ ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُطِيفُوا بِعَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -  
لِيُصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا ، فَأُخِذُوا أَخْذًا ، فَأَتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَعَفَا عَنْهُمْ  
وَحَلَّى سَبِيلَهُمْ وَقَدْ كَانُوا رَمَوْا فِي عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِالْحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ (٢) .

### المبادرة الثالثة :

ثم أرسل النبي ﷺ - عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى قُرَيْشٍ ، مندوبًا عنه ، ليؤكد لهم حسن  
مقصد المسلمين ، ورغبتهم الجادة في أداء العمرة .

وقال له : " اذهب إلى قريش فأخبرهم أننا لم نأت لقتال أحد وإنما جئنا زوارا لهذا  
البيت ، معظمين لحرمة ، معنا الهدى ننحره وننصرف " (٣) .

وبَعَثَهُ بِذَلِكَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، يُخْبِرُهُمْ بِذَلِكَ (٤) .

في هذه المبادرات النبوية الحكيمة نرى فيها قدرة القيادة الإسلامية على استخدام  
سياسة ضبط النفس بمهارة فائقة .. فلو تسرعت القيادة في مثل هذه المواقف الثلاثة  
بالرد المسلح على استفزازات العدو؛ لتحول " حادث الحديبية " في التاريخ إلى ملحمة  
دموية ومأساة ضخمة في أرض الحرم .

إن استخدام رسول الله ﷺ - لسياسة ضبط النفس في هذه المواقف الثلاثة  
بالذات يُعد من أهم الأسباب المباشرة لنجاح صلح الحديبية ..

(١) ابن هشام ٢ / ٣١٤ .

(٢) ابن هشام ٢ / ٣١٤ .

(٣) ابن سعد ٢ / ٩٧ .

(٤) ابن هشام ٢ / ٣١٤ .



ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ بَاطِلٌ<sup>(١)</sup>، وَإِنَّمَا هِيَ شَائِعَةٌ مَغْرُوضَةٌ .

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ : قُلْتُ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ :  
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ قَالَ : " عَلَى الْمَوْتِ " .<sup>(٢)</sup>

قال النبي - ﷺ - : في فضل هذه البيعة :  
" لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْراً وَالْحُدَيْبِيَّةَ " <sup>(٣)</sup>

وفي ذلك نزل قول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]

طالع تفسير سورة الفتح



(١) ابن هشام ٢ / ٣١٥ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (٣٨٥١) .

(٣) مسند أحمد (١٤٧٢٥) عن جابر، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٩٣٥٤) .

ثم أرسلت قريش سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، خطيب قريش المصنَّع، ومفاوضها النحرير .



## الصلح

فلَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - :  
" لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ " [ البخاري : ٢٥٢٩ ] .

وكان رسول الله - ﷺ - يتفائل بالأسماء .

واتفقا الطرفان على عقد هدنة، شريطة أن تنص على ما يحفظ لقريش ماء وجهها أمام العرب، فكانت الشروط مجحفة، متحاملة في ظاهرها على المسلمين، ولكن جعل الله - جل وعلا - في هذه الشروط الفتح المبين .

﴿ فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيَّ - ﷺ - الْكَاتِبَ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " ﴾  
﴿ قَالَ سُهَيْلُ : " أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ " أَي فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

﴿ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : " اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ " .

﴿ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ...

﴿ فَقَاطَعَهُ سُهَيْلٌ قَائِلًا : وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ !

﴿ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - وَاللَّهِ : " إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ " .

وفي هذا درس للذين يتنطعون في الشكليات والمظاهر، ويتمسكون بشعار القضية، ولا يتمسكون بقضية الشعار .

﴿ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : " عَلَى أَنْ تُحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنُطُوفَ بِهِ " فَقَالَ سُهَيْلُ : وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ . فَكُتِبَ .

﴿ ثُمَّ قَالَ سُهَيْلُ : وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا !

﴿ قَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا ؟ ﴾

﴿ مَأْسَاةُ أَبِي جَنْدَلِ بْنِ سَهِيلٍ ﴾

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سَهِيلٍ بْنُ عَمْرٍو ، يَرْسُفُ فِي قَيْدِهِ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ ، حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سَهِيلٌ : هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقْضَيْكَ عَلَيْهِ ، أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ !

﴿ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : " إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ " .

﴿ قَالَ سَهِيلٌ : " فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا " .

فَأَخَذَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً - وَهُوَ سَيِّدُ الْأَكْرَمِينَ - وَيَهْيَبُ بِسَهِيلٍ ، أَنْ يَرْحَمَ وَلَدَهُ ، وَيَتْرَكَهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ .

﴿ فَقَالَ سَهِيلٌ : " مَا أَنَا بِمُحْزِيهِ لَكَ ! "

﴿ فَقَالَ الرَّحْمَنُ الْمَهْدَاةُ : " بَلَى فَاَفْعَلْ " ، أَيِ اتْرَكَهُ ، وَأَجْزَهُ لِي .

﴿ قَالَ سَهِيلٌ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ .

أَلَحَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ - ﷺ - أَنْ يَتْرَكَ لَهُ أَبَا جَنْدَلٍ ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى :

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

﴿ فَقَالَ أَبُو جَنْدَلٍ : أَيُّ مَعْشَرِ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا إِلَّا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ . .

وَكَانُوا قَدْ عَذَّبُوهُ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ ، وَقِيدُوهُ ، وَاعْتَقَلُوهُ فِي بَيْتٍ مِنَ الْبُيُوتِ .

وَالْمُسْلِمُونَ يَبْكُونَ لِبُكَاءِ أَخِيهِمْ أَبِي جَنْدَلٍ .

فَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - يَتَحَسَّرُ لِحَالِ الْمُسْلِمِينَ ، نَبِيهِمْ مُحْظُورٌ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ ، وَهِيَ وَطَنُهُ وَبَلَدُهُ ، وَالْمُسْلِمُونَ مَآكِثُونَ أَيَّامًا لَا يُأْذَنُ لَهُمْ لِأَدَاءِ الْعَمْرِ ، ثُمَّ كَانَتْ هَذِهِ الْبُنُودُ الْمَجْحُفَةُ الظَّالِمَةُ ، ثُمَّ يَأْتِي الرَّجُلُ مُسْلِمًا مِنْ قَرِيشٍ ؛ فَيُرَدُّ لِقَوْمِهِ يَعْذِبُونَهُ وَيَجْلِدُونَهُ .

فَأَقْبَلَ عَمْرٌ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ :

أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟

﴿ قَالَ : " بَلَى "

﴿ قَالَ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ ﴾

﴿ قَالَ : " بَلَى " ﴾

﴿ قَالَ : فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا ؟ ﴾

﴿ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ ، وَهُوَ نَاصِرِي " . ﴾

﴿ قَالَ عُمَرُ : أَوْلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتُطَوُّ بِه ؟ ﴾

﴿ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : " فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ " ﴾

﴿ قَالَ : لَا ﴾

﴿ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : " فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّ بِه " ! ﴾

ثم أقبل عمر - رضي الله عنه - على أبي بكر، فقال له نحو من قوله لرسول الله - ﷺ -

- فقال الصديق - رضي الله عنه - :

إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَلَيْسَ يَعِصِي رَبَّهُ ، وَهُوَ نَاصِرُهُ ، فَاسْتَمْسِكْ بِغُرْزِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ .

\*\*\*

سحائب الحزن تخيم على النفوس، ورسول الله - ﷺ - يكتب كتاب الصلح مع سهيل، فلما تم الاتفاق، وكتب العقد، وشهد الشهود، التفت النبي - ﷺ - إلى أصحابه قائلاً :

" قَوْمُوا فَأَنْحَرُوا ، ثُمَّ احْلِقُوا " .

فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ أَخْرَجَ ، ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ .

فَخَرَجَ فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ، نَحَرَ بُدْنَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ ، فَحَلَقَهُنَ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَأَنْحَرُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمًا . وَحَلَقَ رِجَالٌ ، وَقَصَرَ آخَرُونَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحْلِقِينَ " .

﴿ قَالُوا : وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ﴾

﴿ قَالَ : " يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحْلِقِينَ " . ﴾



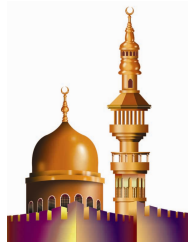
﴿ قَالُوا : وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

﴿ قَالَ : "يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ" .

﴿ قَالُوا : وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

﴿ قَالَ : "وَالْمُقَصِّرِينَ" <sup>(١)</sup> .

مدارسة حول أخلاقيات التفاوض



(١) ابن هشام ٢ / ٣١٩، وأحمد: برقم : ٣٣١١، وصححه الألباني .

نزل سورة الفتح :

وانصرف النبي ﷺ - من الحديبية قافلاً إلى المدينة، وفي الطريق نزلت السورة : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا

مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ، عَلَيْكَ وَهَيْدِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ١، ٢]

فقال : نزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً !  
فقال رجل : يا رسول الله أو فتح هو ؟ قال : أي والذي

على  
إثر الصلح

نفسي بيده إنه لفتح .

فتحاً مبيناً ظاهراً، وسيدخل الناس في دين الله أفواجاً، وسيخضع لهذا الدين ملوكُ أوربا وآسيا، ولن يترك الله الله "بَيْتَ مَدْرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ" (١)، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]

ويا جندَ الله : ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُّوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]

قدوم نسوة مؤمنات:

وجاء نسوة مؤمنات، من قريش إلى المسلمين، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَانُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠]

(١) جزء من حديث تميم الدَّارِي، في مسند أحمد : ١٦٣٤٤، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم:

فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ أَمْرَاتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرِكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ.

#### جماعة أبي بصير:

وفي المدينة، جاء أبو بصير وهو رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مُسْلِمٌ، وقد أراد الرجل أن يعيش بين إخوانه المسلمين، فَأَرْسَلَ المشركون فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ -:  
الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَسَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ - أبا بصير إلى الرجلين - بناءً على نص الاتفاقية - ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَزَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمَرِهِمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ فَقَالَ : أَجَلُ وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَجَيِّدٌ لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ.

فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ : أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ.

فَأَمَكَّنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، أَي مَاتَ، وَفَرَ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حِينَ رَأَاهُ:  
" لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا " .

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ : قُتِلَ، وَاللَّهِ صَاحِبِي، وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ.  
فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهِ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ !

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: " وَيْلُ أُمَّهِ مِسْعَرٍ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ " .

ثم خرج أبو بصير، حَتَّى مَوْضِعًا قَرِبَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وقد كون جماعة من المسلمين الذين هربوا من سلطان المشركين، وقد انفلت إليه أبو جندل بن سهيل.  
فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لِحَقِّ أَبِي بَصِيرٍ، وذلك لعلمهم أن النبي ﷺ - سيردُّهم، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فلا يسمعون بقافلة تجارية لقريش تمر، إلى اعترضوا لها، فَقَتَلُوهُمْ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ.

وباتت هذه الجماعة الإسلامية التي لا تنضوي تحت لواء دولة الرسول - صداغًا في رأس قريش، فَأَرْسَلَ المشركون إلى النبي ﷺ - تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ، وَالرَّحِمِ، لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، وهنا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ - إِلَيْهِمْ، أَنْ يَنْضَمُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ، فقدموا إليه طائعين فرحين .

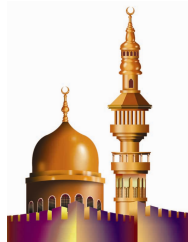


ليت شعري ! أم حسبت أننا نزاحمُ الصحابةَ بالمناكب؛ بركيعاتِ رمضانِ المترنحة،  
وبجنيه بخيل، خرجًا كرهًا، وحمل كرهًا :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾

[آل عمران: ١٤٢]

ارسم مشاهدَ هذه الرحلة في قلبك ، ثم سل نفسك  
دومًا، قل لها : بأي شيء ستلحقين بالأحبة، محمدٍ وصحبه ؟











مجسم الكرة الأرضية إلا وتجد نسبة تعداد للمسلمين في كل رقعة من الغبراء والخضراء.

﴿ أما عن نصوص القرآن فإليك أدلة العالمية - أو بعضها - :  
 ﴿ الدليل الأول : "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا"  
 [الأعراف: ١٥٨]

﴿ الدليل الثاني : "بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا"  
 [الفرقان: ١]

﴿ الدليل الثالث : "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" [سبأ: ٢٨]

﴿ الدليل الرابع : "وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" [آل عمران: ٨٥]

﴿ الدليل الخامس : "إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" {٨٧} وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ {٨٨} " [ص ]

﴿ الدليل السادس : "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" [الأنبياء: ١٠٧]  
 وأما عن أدلة عالمية الإسلام من السنة النبوية فحسبك حديث " أعطيت خمسًا "

فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال :  
 " أُعْطِيتُ خَمْسًا ، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي  
 الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا - فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ - ، وَأُحِلَّتْ لِي  
 الْمَغَانِمُ - وَلَمْ يُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي - ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ،  
 وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً " [ البخاري: ٣٢٣ ]

وقد أشار إنجيل برنابا إشارة صريحة إلى عالمية الإسلام ، فجاء في الفصل الثالث والأربعين:

" الحق أقول لكم إن كل نبي متى جاء فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه ، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه ،



فلا تمام لهذا الدين، إلا بالعالمية، حين يمتد الإسلام شرقاً وغرباً، فيأمن الغريب والمسافر من صنعاء إلى حضرموت .. لا يخاف لصاً ولا قاطعاً، حيث بسط الإسلام الأمن في ربوع العالم .

﴿ وتأمل قول رسول الله : "مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ" .. إن رسول الله في مكة حينما حدث بهذا الخبر، وكان من الأولى - في زعم البعض - أن يقول - على سبيل المثل - "من مكة إلى الطائف" ! والحق أن رسول الله يتحدث بهذا الحديث وهو لا يفرق بين أرض وأرض، فكل الأرض بساط للإسلام، وأن الإسلام سينشر سلمه وأمنه بين صنعاء وحضرموت، وسينشر سلمه وأمنه بين مكة والطائف، وسينشر سلمه وأمنه بين القاهرة والقدس، وسينشر سلمه وأمنه بين المدينة المنورة وواشنطن .  
ولما مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ، ابْنُ أَخِيكَ يَشْتُمُ أَهْلَنَا يَقُولُ وَيَقُولُ وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ ... فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ... قَالَ أَبُو طَالِبٍ : " يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ يَشْكُونَكَ، يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ أَهْلَهُمْ وَتَقُولُ وَتَقُولُ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ " .  
﴿ فَقَالَ : " يَا عَمَّ إِنَّي إِنَّمَا أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْحَزِيَّةُ !!! " ﴾

﴿ قَالُوا: وَمَا هِيَ ؟؟ نَعَمْ ! وَأَيُّكَ عَشْرًا !! ﴾

﴿ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [أحمد : ٣٢٤٤، عن ابن عباس]

إنه يعلم الأمة؛ أن ( لا إله إلا الله ) منهج حياة، وشرعة قويمه، من أخذها بحققها، ساد العالم وقاد الأمم، عرباً وعجماً، شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، حينها تُحْمَلُ أموال الجزية قناطير مقنطرة، من أطراف الكرة الأرضية إلى بيت مال المسلمين، ثم تخرج هذه الأموال من بيت مال المسلمين تتفرق كأشعة الشمس بين القرى والبلدان في أنحاء الكرة الأرضية، فتشبع جوعة الفقير، وتجبر كسرة المسكين، وتذهب لوعة المحروم، فتمحو الفقر المذقع، والذل المضرع .

﴿ دروك في العالمية ﴾

ومن العجب، جلد الفاجر وعجز الثقة؛ فأنت ترى بعض النصارى ينشرون دينهم المُحَرَّف في أدغال أفريقيا وفي غابات آسيا، ويزعمون أن ( المسيحية ) دين عالمي، وهو



مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ؛ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ؛ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ" [أحمد: ١٦٣٤٤، عن تميم الداري، وهو في السلسلة الصحيحة برقم : ٣].

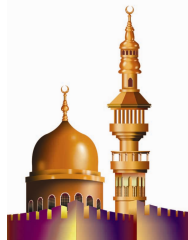
٤ - أن تشارك في إعادة بناء الخلافة الإسلامية التي غيَّبها أعداء هذا الدين، وأن توقظ مفهوم ( الوحدة الإسلامية العالمية ) في نفوس الناس، وأن تبشر الناس بمقدم الخلافة الراشدة، فقد أخبر الصادق المصدوق بذلك .

فَعَنْ حَديثِ أَن رَسولَ اللَّهِ - ﷺ - قال :

"تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَن تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَن يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافةٌ عَلَى مَنَهاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَن تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَن يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصِيًا، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَن يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَن يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبَرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَن تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَن يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافةً عَلَى مَنَهاجِ النُّبُوَّةِ." ثُمَّ سَكَتَ [أحمد : ١٧٦٨٠، وهو في السلسلة الصحيحة].

فعهد النبوة هو عهد رسول الله - ﷺ -، وعهد الخلافة الراشدة هو عهد الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم -، وعهد الملك العضوض - وهو عهد توريث الحكم - فهو عهد مُلك بني أمية والدولة العباسية والدولة العثمانية وغيرها من الدول وأنصاف الممالك.

أما عهد الملك الجبري فهو عهد ما بعد إسقاط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤، حيث توالى أنظمة الظلم والفساد والاستبداد وبلغت في ذلك مبلغاً يندى له جبين التاريخ .. وبقي العهد الأخير الرشيد الرغيد، على منهاج سيد المرسلين، هذا والله أعلم بمقصود هذا الحديث العجيب !



أعشى بن قيس

"كأس وغانية.. يفعلان بالأمة المحمدية ما

لا يفعله ألف مدفع"...

هكذا قال أعداء هذا الإسلام، وهكذا أوضحوا أسهل

الطرق التي يؤتى منها الشباب المسلم.

وإغراء الشباب بالغانية والكأس لصدهم عن سبيل الله؛

ليست نظرية حديثة، بل قديمة، والدليل هذا الموقف من

السيرة :

\*\*\*

أبو بصير أعشى بن قيس بن ثعلبة، - واسمه ميمون بن قيس - شاعر من شعراء العرب المشهورين، وكان يفد على ملوك فارس، وخرج إلى رسول الله - ﷺ - يريد الإسلام، وقال يمدح النبي - ﷺ - في قصيدة مطلعها :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةً أَرَمَدَا ... وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا

وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا ... تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ صُحْبَةَ مَهْدَا

قال ابن قتيبة في "طبقات الشعراء" : "وكان الأعشى جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام في آخر عمره، ورحل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في فترة صلح الحديبية، فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهه الذي يريد، فقال: أردت محمداً. قال: إنه يحرم عليك الخمر والزنى والقمار. قال: أما الزنى فقد تركني ولم أتركه، وأما الخمر فقد قضيتُ منها وطراً، وأما القمار فلعلي أصيب منه عوضاً. قال: فهل لك إلى خير من هذا؟ قال: وما هو؟ قال: بيننا وبينه هدنة فترجع عامك هذا، وتأخذ مائة ناقة حمراء، فإن ظفر بعد ذلك أتيته، وإن ظفرنا كنت قد أصبت من رحلتك عوضاً. فقال: لا أبالي! فأخذه أبو سفيان إلى منزله وجمع عليه أصحابه وقال: يا معشر قريش، هذا أعشى قيس! ولئن وصل إلى محمد ليضربن عليكم الأرض قاطبة! فجمعوا له مائة ناقة حمراء، فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بعيه فقتله. انتهى. [عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ١/ ٦٢، وانظر : ابن هشام ١/ ٣٨٦، ٣٨٧].







هذا، فضلاً عن كون القمار وسيلة من وسائل هدم الاقتصاد، ونشر البطالة، وانتشار العداوة.

ولفساد الميسر وخطره على الاقتصاد، فقد حرمه بعض زعماء العرب في الجاهلية، ومنهم الأقرع بن حابس التميمي؛ فقد حاربه، ومنع ممارسته، ثم جاء الإسلام بتقريره [ انظر : القلقشندي : صبح الأعشى ١ / ١٧٨ ].

ويقول النبي - ﷺ - في أشهر ألعاب القمار : " من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله " [ ابن ماجه ( ٣٧٦٢ ) عن أبي موسى ، وحسنه الألباني ]. وقال أيضاً : " مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ شَرٌّ ؛ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ " [ مسلم : ٤١٩٤ ]  
ويقول - ﷺ - : " ثمن الخمر حرام ، و مهر البغي حرام ، و ثمن الكلب حرام ، والكوبة حرام " (١)، وإن أذاك صاحب الكلب يلتمس ثمنه ، فاملاً يديه تراباً ، و الخمر و الميسر ، و كل مسكر حرام " [ الطبراني ( الكبير ) : ١٢٦٠١ ، وهو في السلسلة الصحيحة : ١٨٠٦ ].

وما اجتمعت صحبةٌ صالحةٌ على نرد ، وما لَمَّ القمارُ شمل الأقران ، وما دخل الصفاء على خلة الطاولة ..

إن أهل طاولة القمار؛ هم جماعة ساقطة، وصحبة فاسدة، وصادقة زائفة، تجمع خساسة الناس، وسفهاء المجتمع، يتناقضون بناء الود، ويتعاطون الحسد، ويتراقبون الدُّول، يحقدون على الفائز، ويلمزون الخاسر، يتعابيون، ولأنفسهم يغتابون، ولا يحبون لبعضهم خير، مولوعون بالمسابقة في الشر . في الرخاء تعرفهم بالتحاسد، وفي الضراء تعرفهم بالتخاذل.

#### ⚡ خطر التسويف !

وفي هذه القصة أيضاً، درسٌ بليغ في خطر التسويف، فهذا الشاعر العجوز قطع السهول والحزون قاصداً رسول الله - ﷺ - ، لكن ... حال التسويف بينه وبين غايته، وقد أُلقيت عليه حباله الخمر فأبى، وقال : أما الخمر فقد قضيت منها وطراً، ثم أُلقيت عليه حباله الجنس فأبى، وقال : أما الزنى فقد تركني ولم أتركه، ثم أُلقيت عليه حباله القمار فتردد ! وقال : أما القمار فلعلي أصيب منه عوضاً.

(١) وهي النرد في رأي ابن الأثير .

فلما تلجلج قصده، واضطرب أمره؛ أراد أبو سفيان أن يلقي عليه الحباله الأخيرة، ليستحكم له الصيد، فقال: ترجع عامك هذا، وتأخذ مائة ناقة حمراء؟! فسأل لعابُ الشاعر!

فأعطاه أبو سفيان جرة التسويف، فقال: فإن ظفر [أي محمد] بعد ذلك أتيته، وإن ظفرنا كنت قد أصبت من رحلتك عوضاً.

فانهزم الشاعر الكبير، فأخذه أبو سفيان كما يأخذ أحدنا القط الوديع لمحبيه، ثم جمع أبو سفيان أصحابه، وحذرهم من مغبة انضمام شاعر فحل كالأعشي إلى الجماعة المسلمة، فقال أبو سفيان: "ولئن وصل إلى محمد ليضربن عليكم الأرض قاطبة". فالجيش الذي ينضم إليه شاعرٌ، فكأنما ضُم إلى الجيش كتيبة خشناء أو وزارة إعلام، فالشاعر في العرب كان بمثابة الصحيفة من الصحف، أو المذيع أو التلفاز أو غير ذلك من وسائل الإعلام.. ولقد كان رسول الله ﷺ - يغتبط اغتباطاً عظيماً بإسلام الشعراء، وكان يهش لهم ويبش، فيحمس المسلمين منهم، ويتلطف إلى المشركين منهم، أملاً في إسلامهم.

ولقد جمع المشركون المال للشاعر، فقبض المال على أن يعود في عام قابل، فيقدم إلى محمد، ﷺ - فلما انصرف وصار بناحية اليمامة ألقاه بغيره فقتله! فباحسرتاه على سوء الخاتمة! ويا ويل تلك النفس التي عاشت على حرف السين: سأفعل.. سأصلي.. سأتوب.. سأجاهد.. س، س، س.. ولكن لا تفعل حتى تهلك.

مات، وخسر الدنيا والآخرة، فلم ينتفع بنوقه الحمر، ولم يظفر بدين الحق، إذن فهو الخاسر الذي أهلكه التسويف، والخائب الذي أهلكته حبالات الصائد - الواحدة تلو الأخرى - وقد أصابت هذا الشاعر حباله المال.. ومن الشباب من يسقط في حباله الخمر والمخدرات، ومنهم من ترى ثغرتة في النساء والبنات، ومنهم من تجد نقطة ضعفه في القمار والسهرات، ومنهم من يؤتى من قبل المال والعقارات، ومنهم من يؤتى من جميع هذه الأبواب، فنسأل الله أن يحفظنا من شرها جميعها، جميعاً.

التسويق مواعيد الشيطان، والتسويقات عُلالات نفوس المنهزمين، وأحلام المحرومين، وخيالات النائمين .. أدب نفسك - أخي - بسرعة المبادرة في الخيرات، وأحكمها بالمسارعة في كسب الحسنات، ولا تغرنك السلامة المنطوية على الهلكة، واقطع عنك التسويق قبل أن يقطعك !

ومن أسرع بقول، حقيق أن يسرع بفعل، وقبيح أن يسوف، وقد ذم الله الذين يقولون ما لا يفعلون، والتسويق في الخير اغترار، فالدينا ساعة، لا تحمل التسويق، ولا تقبل التأجيل، وإنجاز الخير سعادة، وفواته تعاسة، فإذا تخالجتك الأمور، فاشتغل بأعظمها خطرًا، وأعظمها قدرًا، فإنما فقه الأولويات في العبادة عبادة، ومن أراد أن ينغص حياته فليسوف كل خير، ومن أراد أن يعيش في حبرة وسعادة فليظفر بكل وسيلة من وسائل الخير، من صلة وبر وعبادة، وجهاد وبذل وطاعة.

ثم، لا تؤاخين مسوفًا، وإلا لك النغيص في الدنيا، والخسران في الآخرة، فشأن أقران السوء تسويق الخير وإسعاف الهوى، والتسويق كالمرض المعدي، والداء العيأ، يتنقل بين الأقران كما ينتقل الزكام من المزموم إلى الصحيح، لا أنفغام له إلا بنفحات الاستغفار والتوبة، والهرب من المسوف أحق منك بالهرب من سم الأسود!

\*\*\*

✍ قال الشاعر - في التسويق - :

كم يكون الشتاء ثم المصيف ... وربيع يمضي ويأتي خريف  
وانتقال من الحرور إلى الظل .. وسيف الردى عليك منيف  
يا قليل البقاء في هذه الدار ... إلى كم يغرك التسويق

- ١- شارك في حملة دعوية ضد الخمر والمخدرات والقمار
- ٢- ارسل عدة رسائل عبر الجوال تحث على أخلاق الفضيلة وغيض البصر والعفة
- ٣- اقرأ فصلاً عن " خطر التسويق " في كتاب من كتب الرقائق والتربية.



المحرم ٧ هـ - مايو / يونيو ٦٢٨ م

عندما ضربت معاقل اليهود في المدينة؛ باتت  
خيبر<sup>(١)</sup> معقل الدس والمؤمرات اليهودية، وحسبك  
أن منها خرجت حركة الأحزاب، حيث خرج اليهود منها  
يدورن على القبائل لجمع الجيوش لغزو المدينة في العام  
الخامس .



فتح

خيبر

فانتهاز رسول الله ﷺ - فرصة تفرغه من مشركي قريش

في القضاء النهائي على الوجود اليهودي .

فقد أثبتت التجارب أن اليهود لا ينعم لهم جار، ولا يهنا لهم حليف .

وفي أواخر المحرم من العام السابع للهجرة؛ خرج إليهم النبي ﷺ - في ألف  
وستمائة مقاتل .

شعار هذه الغزوة:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَ شَعَارُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ - يَوْمَ خَيْبَرَ : يَا مَنْصُورُ ، أَمِيتْ<sup>(٢)</sup>

الشعر الجهادي :

وفي الطريق، والجيوش الإسلامي زاحف نحو اليهود، وفي بعض الليل قال رجل  
لعامر بن الأكوع :

يَا عَامِرُ أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ ؟

وَكَانَ عَامِرُ رَجُلًا شَاعِرًا ، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالنُّصُومِ ، يَقُولُ :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا

فَاغْفِرْ فِدَاءَ لَكَ مَا أَبْقَيْنَا .. وَثَبَّتْ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا

وَالْقَيْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا .. إِنَّا إِذَا صِيحَ بَنَا أَبِينَا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - "مَنْ هَذَا السَّائِقُ ؟ " .

(١) تقع مدينة خيبر على بعد ١٧٠ كم شمال المدينة المنورة .

(٢) ابن هشام (٢ / ٣٣٢) .

﴿ قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ. ﴾

﴿ قَالَ: "يَرْحَمُهُ اللَّهُ" .. ﴾

﴿ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ! لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ <sup>(١)</sup>! ﴾

وكان رسول الله ﷺ - لا يترحم على إنسانٍ إلا مات شهيداً ببركة دعاء النبي ﷺ - .  
وفيه دلالة على استحباب إنشاد الأشعار الجهادية التي تحمس الجنود، وتلهب المشاعر، وتقوي القلوب. وقد قال النبي ﷺ - : " إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا " <sup>(٢)</sup>.

﴿ الذِّكْرُ: ﴾

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :

لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - خَيْبَرَ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ :  
اللَّهُ أَكْبَرُ ! اللَّهُ أَكْبَرُ ! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ !

﴿ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : ﴾

"ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا،  
وَهُوَ مَعَكُمْ " .

قال أبو موسى : وَأَنَا خَلَفَ دَابَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ : لَا حَوْلَ  
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

﴿ فَقَالَ لِي : "يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ" ﴾

﴿ قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴾

﴿ قَالَ : " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ؟ " ﴾

﴿ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! ﴾

﴿ قَالَ : " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " <sup>(٣)</sup> ﴾

﴿ الدعاء قبل الهجوم ! ﴾

وَلَمَّا دَنَا النَّبِيُّ ﷺ - مِنْ خَيْبَرَ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهَا قَالَ :

" قِفُوا " !!

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٣٨٧٥) .

(٢) البخاري : ٤٧٤٩ .

(٣) البخاري : ٣٨٨٣ .



فَوَقَّفَ الْجَيْشُ، وساد الصمت، ماذا سيفعل قائد المسلمين ؟  
توجه إلى القبلة، ونادى رب العالمين، الذي بيده النصر:

❦ قال - ﷺ - :

" اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ .. وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ ..  
وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّلْنَ .. فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا ، وَخَيْرَ مَا فِيهَا  
وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا .. أَقْدِمُوا بِسْمِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> .

❦ صفة الإغارة على العدو :

❦ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَتَى خَيْبَرَ لَيْلاً وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بَلِيلَ لَمْ يُغَيِّرْ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ،  
فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ، وَمَكَاتِلِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ ! مُحَمَّدٌ  
وَالْحَمِيسُ <sup>(٢)</sup> !

فَرَجَعُوا هَارِبِينَ إِلَى حُصُونِهِمْ <sup>(٣)</sup>، وهذا من جنبهم المعروف، وقد قال الله فيهم :

❦ وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِمْ [البقرة: ٩٦]

وفي هروبهم إلى حصونهم، دلالة على كونهم لا أرب لهم في القتال المباشر، وفي ذلك

يقول الله تعالى : ﴿ لَا يَقْنِطُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ [الحشر: ١٤]

هنالك قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - :

" [اللَّهُ أَكْبَرُ] <sup>(٤)</sup> خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ <sup>(٥)</sup>"

إذ أن هروب العدو هو بداية النصر.

❦ أهم حصون خيبر :

❦ أولاً حصون منطقة النظاة والشق - منطقة الشمال الشرقي من خيبر :

١ - حصن ناعم [ أشد الحصون، وقد استغرق فتحه عشرة أيام، وفيه قتل محمود بن

مسلمة - رضي الله عنه -، وكان حامل الراية عند فتحه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه ] .

(١) ابن القيم : زاد المعاد ٣ / ٢٨٣ ، وصححه الألباني في تحقيق فقه السيرة، ٣٤٠ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٣٨٧٦) .

(٣) ابن القيم : زاد المعاد ٣ / ٢٨٣ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٣٨٧٧) .

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٣٨٧٦) .

٢ - حصن الصَّعْب بن معاذ : [ وكان حامل راية الجيش الإسلامي فيه، الحباب بن المنذر - رضي الله عنه ، وقد فتحه المسلمون بعد ثلاثة أيام، وغنم المسلمون طعاماً وكانوا في خمسة ] .

٣ - حصن قلعة الزبير [ وفيه قطع المسلمون الماء عن اليهود، وفتح بعد ثلاثة أيام ]

٤ - حصن أبي [ وقد فتح من يومه ] .

٥ - حصن النزار [ وقد فتح من يومه ] .

❦ **ثانياً : حصون منطقة الكتيبة :**

١ - حصن القموص [ وهو حصن بني أبي الحقيق، وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ سَبَايَا، مِنْهُمْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَكَانَتْ عِنْدَ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَبَنِي عَمِّهَا <sup>(١)</sup> ] .

٢ - حصن الوطيح .

٣ - حصن السلام .

❦ **تسابق الصحابة:**

❦ **عَنْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:**

كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي خَيْبَرَ وَكَانَ رَمِدًا،

فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - !!

فَلَحِقَ بِهِ، فَلَمَّا بَنَى اللَّيْلَةَ الَّتِي فُتِحَتْ..

❦ **قَالَ: "لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ" <sup>(٢)</sup> .**

فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -

ﷺ - كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا.

❦ **فَقَالَ: "أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ" .**

❦ **فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ !**

(١) انظر: ابن هشام (٢ / ٣٣٠) .

(٢) صحيح البخاري - كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٣٨٨٨)، عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٣٨٨٧) .



🔸 **تحريم الحمر الأهلية :**

🔸 **قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه :**  
فَاتَيْنَا خَيْرَ فَحَاصِرٍ نَاهُمْ حَتَّى أَصَابَتْنَا مَحْصَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ مَسَاءَ الْيَوْمِ الَّذِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ أَوْقَدُوا نِيرَانًا كَثِيرَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - :

"مَا هَذِهِ النَّيْرَانُ ؟ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ ؟".

🔸 **قائلوا : عَلَى حَمٍ .**

🔸 **قال : " عَلَى أَيِّ حَمٍ ؟ " .**

🔸 **قائلوا : حَمٍ حُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ .**

🔸 **قال النبي - ﷺ - : " أَهْرِيقُوهَا وَاكْسِرُوهَا " .**

🔸 **فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مُهْرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا .**

🔸 **قال : " أَوْ ذَاكَ " .**

🔸 **ونادى المنادي :**

"إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ فَإِنَّهَا رِجْسٌ" (١) ..

🔸 **الذب عن أعراض الشهداء :**

🔸 **قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه :**

فَلَمَّا تَصَافَّ الْقَوْمُ كَانَ سَيْفُ عَامِرٍ قَصِيرًا فَتَنَاوَلَ بِهِ سَاقَ يَهُودِيٍّ لِيَضْرِبَهُ وَيَرْجِعُ دُبَابُ سَيْفِهِ فَأَصَابَ عَيْنَ رُكْبَةٍ عَامِرٍ ، فَمَاتَ مِنْهُ .

🔸 **قال : فَلَمَّا قَفَلُوا . قال : سلمة رَأَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ آخِذٌ بِيَدَيْهِ . قَالَ : " مَا لَكَ ؟ " .**

🔸 **قلت له : " فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي رَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ " .**

🔸 **قال النبي - ﷺ - : " كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ " ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قُلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ" (٢) .**

(١) انظر : البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر (٣٨٧٥) .

(٢) صحيح البخاري - كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر (٣٨٧٥) .











وجواسيس لمشركي مكة وغطفان .. كل هذا إلى جانب أنهم السبب الرئيسي في تحزيب جيوش الأحزاب، من كل حذب وصوب ..

ولما أقدمت امرأة منهم على محاولة اغتيال النبي - ﷺ - حيث أهدت لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - شاةً فيها سُمٌّ<sup>(١)</sup> .. وتوفي اثر هذه المحاولة الفاشلة أحد الصحابة .. لم ينقلب رسول الله - ﷺ - على أهل خيبر ولم يعمل فيهم القتل - كما يفعل بعض الزعماء في مثل هذه المواقف - إنما أثبت الصلح وأقر العهد .

﴿ قدوم جعفر وأصحابه : ﴾

وفي ثنايا هذا الفتح قدم جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومهاجرة الحبشة، فقسم لهم النبي - ﷺ - من غنائم خيبر .

و" لما قدم جعفر من الحبشة عانقه النبي - ﷺ - " <sup>(٢)</sup> .

﴿ وقد قال النبي - ﷺ - يومها : ﴾

" والله ما ادري بأيها افرح ؟ بفتح خيبر أم بقدم جعفر " <sup>(٣)</sup>

" وكان قدوم هؤلاء على أثر بعث الرسول - ﷺ - إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري يطلب توجيههم إليه، فأرسلهم النجاشي على مركبين، وكانوا ستة عشر رجلاً، معهم من بقي من نسائهم وأولادهم، وبقيتهم جاءوا إلى المدينة قبل ذلك " <sup>(٤)</sup> .

وقد سأل النبي - ﷺ - جعفرًا عن شيء رآه في الحبشة،

﴿ فقال جعفر : رأيت امرأة على رأسها مكثل فيه طعام، فمرَّ فارسٌ يركض فأذراه فقعدت فجمعت طعامها ، ثم التفتت إليه ، فقالت : ويل لك يوم يضع الملك كُرسِيَّه فَيأخذُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ

﴿ فقال رسولُ الله - ﷺ - تصديقًا بقولها : " لا قُدُسُ أُمَّةٍ - أو كيف تُقدَّسُ أُمَّةٌ - لا يأخذُ ضَعِيفُهَا حقَّه مِنْ شَدِيدِهَا غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ " <sup>(٥)</sup> .

(١) صحيح البخاري - كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٣٩١٨) .

(٢) أخرجه أبو يعلى في " مسنده " ( ٣ / ٣٩٨ / ١٨٧٦ ) ، وهو في السلسلة الصحيحة ٦ / ٣٣٢ .

(٣) أخرجه البيهقي في " السنن " ( ٧ / ١٠١ ) ، حسنه الألباني في تحقيق فقه السيرة ، ٣٤٧ .

(٤) الرحيق المختوم ٢٩٢ .

(٥) أي من غير أن يُصيبه أدنى يُقْلِفُه .

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط : ٥٢٣٤ ، وصححه الألباني انظر حديث رقم : ٤٥٩٧ في صحيح الجامع .

ارسم خريطة توضح حصون خير





### التجرد ومثال في الملائكة

والملائكة مثال لمن تجرد لمحض الخير، قال الله تعالى فيهم : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦٠] ولذلك يقول الإمام الغزالي :

"التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين، والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين؛ فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان، والمتجرد للشر شيطان.." [الإحياء ٣ / ١٠٥].

### التجرد ومثال في الحج

والحج من أهم العبادات التي يستشعر فيها المسلم المعنى الحقيقي للتجرد، فهو يترك الأهل والوطن، ويتجرد من ثيابه، فيرتدي ثوباً أشبه بالكفن، ويؤدي مناسك لا يعلم حكماتها إلا الله، ويستشعر المسلم معنى التجرد في طوافه الخالص لله بالكيفية التي أرادها الله، وفي التلبية التي يهتف بها الحاج معلناً تجرده لله وبرأته من الشريك والنظير .. وفي ذلك كله التجرد من شهوات النفس ومطالب الهوى.

### وقفة تجرد :

في هذا المشهد السالف، نرى صورة من روائع التجرد لله، وصورة رجاله الذين صدقوا الله فصدقهم، فنالوا الجنة عن موقف تجردت فيه قلوبهم لله تمام التجرد، دون سابقة أعمال مأثورة أو تاريخ دعوي تلبد، فقط دخلوا الجنة بوقفة وقفوها.

ومثاله الصحابي الذي دخل الجنة ولم يسجد لله سجدة، حيث انتقل من صفوف الكفر إلى صفوف الإيمان في ميدان المعركة، فشهد شهادة الحق، فقاتل، فقتل، هكذا في دقائق معدودات !

فمال الكبير الدالف، والسقيم المدنف، وغيرهما، ممن عاشوا في الإسلام دون أن يقدموا له شيئاً يذكر ! أو انغمسوا في يَمِ المعصية مع قليل توبة، أو طُحنوا في طاحونة التجارة وتغذية البطون، وإشباع الفروج، والإمعان في نعيم زائل، فإما أن تمحصهم فُجاءات الأمور، وبَغَتَات الحوادث، وإما أن تسكرهم سكرة الموت، فلا يرون أنفسهم إلا في عرصات القيامة حيث حساب ولا عمل، ونَدَمٍ حيث لا ينفع الندم !

### هذا المتجرد :

هذا الأعراي، عزم عزيمة صادقة، وعرف غايته الكبرى وهي الجنة، وعرف السبيل إليها، وهو الجهاد، وأيقن أن الشهادة في سبيل الله هي أقصر الطرق وأيسر السبل إلى

جنات عدن، فعقد في نفسه أسمى غاية، هي الموت في السبيل الله، وأخذ العهد على نفسه في ذلك، واتبع رسول الله - ﷺ - من أجل الوصول إلى الغاية عبر هذه الوسيلة.. "أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ - بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ!" .. لقد كان طموحه في منتهى السمو، وهدفه في منتهى الوضوح، ومنهجه في الحياة في غاية الغضارة، وأوضح من الشمس في رابعة النهار ..

أن يُرمي بسهم في حلقة .. فيموت .. فيدخل الجنة ..

✍ من تمام التجرد :

لقد جاء هذا الأعرابي بقسمه في الغنيمة إلى رسول الله - ﷺ - ، مستغرباً، وقائلاً :

" مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ !"

وكأنه يرى أن من الغثارة والحماسة أن يتلهي بغنيمة دنيوية، فيضيع فيها الوقت، وتمر فيها ساعات تأخره عن غنيمة الكبرى التي طمح إليه . فبين لرسول الله - ﷺ - أنه لم يكن قد عاهد على نعيم دنيوي قط، بل كانت عزمته للجنة، الجنة فحسب.

ويكأن القاصد البصير لا ينظر إلى الفتات !

✍ الطريق إلى التجرد :

إن التجرد مرتبة عالية، ودرجة سامية، لا يتسنى لإنسان أن ينالها إلا بمجاهدة .. لا ينبغي أن ينالها نهمة لا يشبعون، أو غلمة لا يتعففون .  
لَرَجُلٌ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الطَّاعَاتِ وَأَجْمَهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَصَرَفَهَا عَنِ الشَّبَهَاتِ أَحَقُّ أَنْ يَنَالَ مَرْتَبَةَ التَّجَرُّدِ .

✍ قال الشاعر :

لَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ ثَمَرًا أَنْتَ آكَلَهُ \*\*\* لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ

✍ وقال المتنبي مخاطباً نفسه :

تُرِيدِينَ إِيَّانَا الْمَعَالِي رَخِيصَةً \*\*\* وَ لَا بَدَّ دُونَ الشَّهِيدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ

فانظر كيف كانت بداية هذا الأعرابي، من أول يوم أسلم فيه، لقد كانت حياته صدقاً مع الله، فتأمل - بارك الله فيك - أول الحديث، وتذاكر ما تحته خط :

"أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَهَاجِرُ مَعَكَ .

